

على هامش النفر

٥ - في عالم القصة

الذئاب الجائعة ... بحمد الندوى

الأستاذ سيد قطب

فإذا قرأ في بعض الأحيان أحسن بحذر للذيد ، كأنه في بحران ...
ولأول مرة - - - فيما أعتقد - - - تظهر هذه الخصائص في قصة

باللغة العربية . وهذا ما يوجب تسجيل هذا اللون الخاص .

وأعود مرة أخرى لأقول : إن الخاصية ليس معناها

الأفضلية ؛ وإنما لا أرفع هذا اللون فوق الألوان الأخرى ؛ وإن

هذه الخصائص لا تنفي نواحي النقص في اللون الجديد . وكل

ما يهمني هو تسجيل هذه الجودة ؛ بحبرها وشرها ، وتنبية القارىء

إليها في مجموعة « الذئاب الجائعة » .

* * *

تحتوى هذه المجموعة على ثمانى أقاصيص : الذئاب الجائعة ،

وساعات الحول ، والنفوس المذبذبة . ورجل مريض . وفي القرية .

وحياة رجل . وقلب عذراء . وفي القطار .

في « الذئاب الجائعة » و « في القرية » لوحتان خاستان من

حياة الريف المصرى العجم . وفي كليهما ذلك الجوع الحار

وذلك التفزع المنيب . فالأولى تصور منسراً من مناسم الاصوص

حياة « أبناء الليل » كما يسمونهم في الريف ، أو ذئاب البشر .

هنا قصص من لون جديد . وهنا قصة ذات طعم خاص ..

لهذا القصص عيوبه ، ولهذه القصة هنواتها . ولكن هذا

كله شيء آخر . وليس هو بأفضل قصاص ، وليست هي بأرفع
قصة . ولكن هذا كله شيء آخر كذلك !

هنا « لدعة » حارة تحسها وأنت تقرأ مجموعة « الذئاب

الجائعة » كلها أقصوصة أقصوصة . وهنا « جوع » دائم في كل

قصة ؛ وفي كل شخصية - جوع إلى شيء ما : حسي أو

معنوي - وهنا « تفزع » دائب في كل موقف وفي كل خطرة -

تفزع من شيء ما موجود أو مفقود .

والقارىء يحس بهذا كله يلهب حسه ، ويلذع أعصابه ،

عن ليلى وأخت ليلى ، وما لم يوقعها سوء الطالع بين علمك

القديم ، وعلمك الحديث ؟

ترى ماذا أنت صانع لو أن الشاعر العراقى صدقك ، فشد

رحله إلى سنتريس بطالك بالبيت الذى وعدت ، وما يحتاج

البيت من زوجة وخدم وضيعة إلى آخر الحكاية التى تعرفها

جيداً ؟

أنه رب منه على النحو الذى هربت به من الأسئلة التى

وجهناها إليك لتدلى فيها برأيك عما يمتدده الرصافى من قدم

العالم وإلهيته واختراع محمد (ص) لخرافة وحدة الوجود وتأليفه

للقرآن وإنكار البعث والحساب والعقاب والثواب وتساوى

المتضادات أمام (الوجود المطلق الحكلى) ؟

اثبت على حال يا صديقى . اثبت على حال واحدة ، رحلك الله

رحمة واسعة ، وغفر لك ، فلقد كنت فينا مَرَجُوءاً قبيل

هذا ... !

والنبات . فأتى بحسب أن مادتها تتحول إلى حجر . وهذا

خطأ يحسن أن ترجع لتصحيحه إلى بعض مصادر هذا العلم

الجميل ، فإن تكاسلت ، فاسأل أحداً فى مصلحة الطبيعيات

يشرحه لك

وبالمرة ... يحسن أن يدعى أنه بطل نظرية وحدة الوجود

فى هذا العصر والمصدر التوالى أنت يقرأ كتاباً واحداً على

الأقل فى كل من علم الفلك وعلم طبقات الأرض وعلم الحيوان

وعلم النبات ، ثم كتاباً واحداً فى علم التطور أو النسب .

والارتقاء ، لتعلم أشياء كثيرة عن أسرار الحياة والموت وخلق

العالم وتكون السدم وانفصال الكواكب وتكون القشرة

الخارجية لأرضنا العزيزة ، وما تتركب منه تلك القشرة وكيف

غبرت عليها عصور جيولوجية متنوعة انتهت إلى العصر الذى

أنجب لنا الصديق الأعز ومن سبق الصديق الأعز من يقولون

مثله بأن الوجود إنما وجد هكذا مرة واحدة ... بمجره وبجره !

فه ما أطرف دعابتك يا دكتور زكى ما بمدت تلك الدعابات

وفي هذه الأقدوسية الثانية اقتباس من موقف الراقصة في قصة « نروة هوى » لسكورين . وانتفاع من بعيد بشخصية « سائين » في قصة « ابن الطبيعة » لنشيكوف من القصص الرومى . ولكنه اقتباس وانتفاع لا يعيب

أما « نفوس معذبة » فهي أقصوصة خفيفة . ليس فيها من خصائص المجموعة إلا الجوع . ولكنه جوع هادئ سارب في النفس ، يجد غذاءه في لحظة مناسبة ، فيقتات في فكاهة ولطف : شاب اقطع عن التعليم وآوى إلى الريف ، ولكنه يرتاد القاهرة بين الحين والحين في زيارة أخيه ، فتضيق به زوجة شقيقه القاهرية المتعجرفة . وفي مرة لا يجدها ، ولكنه يجد في الدار فتاة خادمة جميلة ، تعذبه الزوجة عذاباً أليماً لأنها جميلة . ويحس في نفسه الجوع إلى المرأة والوحشة إلى الأنيس ، فيرويهما وبنتم من زوجة أخيه في ضربة واحدة ... ويتزوج الفتاة والحادثة ليست هي العنصر الأول في القصة ، إنما هو التصوير للمواقف والتشخيص للأخاطر ، وكلاهما متوافر في هذه الأقدوسية الخفيفة

وينبثق بعد ذلك أقصورتان : قلب عذراء . وفي الفطار . ولست أشك في أنه بلغ فيهما غاية التوفيق - على طريقتيه وفي مستواه - وهما مقابلتان لأقدوسيتي : « الذئاب الجائعة » و « في القرية » ...

إذا كان الجوع في الأولى جوع الطعام ، وفي الثانية جوع الغريزة ، فالجوع في هاتين الأخيرتين هو جوع روحى - بمقدار ما تخلص الروح من جوع الغريزة - جوع الروح الموحشة من الرقيق ، ورفرفة الروح التي تجدها هذا الرقيق . وإن أبى (شيطان المؤلف) إلا أن ينتهى بهما إلى الحرمان أو ما يشبه الحرمان ؛ لأن زعمته العامة هي تصوير (الجوع) هذا العنصر الذى يبرزه إبرازاً واضحاً ، ويوفق في إبرازه إلى أبعد الحدود

في (قلب عذراء) نجد الفتاة الفتية الفنية ، ذات الحس الأنثوى الشاعر . تجد في نفسها الفوضى الذى تحسه الفتاة ، ثم لا تجد لهذا الفوضى متصرفاً ... الرجل من حولها إما شاب طامع ، وإما شيخ منهزم . لم تجد مثلها الأعلى الذى ترجوه ، وشاق صدرها بهذا الفوضى الذى لا يتصرف ، فتطوعت للتمريض لتريق هذا الفوضى المذخور عطفاً على المرضى البائسين ! ولكنها تمل هذه الحياة بعد حين ، ويكاد ينبع الفاض

حياة السطور الدائم والفرع الدائم والجوع في فريسة ، كالذئاب الحيوانية التي تشاركونهم نفس الحياة !

والثانية تصور حياة « كسلة » من الممال الفلاحين كما يطلق على الجماعة ذات الرئيس ينتقل للعمل بهم من مكان إلى مكان . حين تطول بهم القرية ، ويقطشون إلى المرأة ، فيصبح صوتها الذى يطرأ أسماعهم من بعيد ، وخيالها الذى يدايعهم من قريب ، هما الشغل الشاغل في الصحو والنام ! ثم صورة الفتاة النورية تلهب هذا الجوع العائش في نفس رئيسهم الفتى حتى يمرض ويضعف ، فتتحول عنه إلى سواء ، كأنها « الشهوة » الجائعة لا تحفل إلا بما يسد الجوعة من هذا القطيع !

في كلتا القصتين يبلغ المؤلف مدى خصائصه وأوقاها . فكل شخصية هي « نموذج إنسانى » من « الذئاب الجائعة ! » وكل موقف هو لذعة جوع أو وثبة ذئب ؛ وكل حركة هي لفظة ذعر أو فزعة نمر . ولكن في كلتيهما غاطة مشتركة هي أن المؤلف يدع هذا الصنف من الناس يعبر عن مشاعره بنفسه في مستوى دقيق من التحليل والتعليم ، وفي أفق رفيع من التعبير الجميل !

هذا القطيع من الناس أو من الذئاب ، أغلب الظن أنه يعيش بفرائره ، ويتصرف بسليقته ، ويتحرك بوخزة اللحم والدم والأعصاب ، دون أن يلتفت مرة واحدة إلى التحليل والتحليل . فإذا شئنا أن نملل نحن ونحلل ، فطريقنا إلى ذلك أن نترجم عنهم ، ولا ندعهم يعبرون بأنفسهم لأنهم لا يستطيعون التعبير إلا بالحركة والعمل ، وعلينا نحن التفسير والتأويل !

وفي « ساعات الهول » تصوير عنيف للحظات غارة جوية تنتهى ببطل الأقدوسية إلى بئر ساقه وهو « نموذج إنسانى » للرجل الحاد المعز بقوة بدنه ، يرى نفسه بعد لحظات أبتر الساق ضعيفاً مسكيناً . وهنا فقط يتذكر الريف ... الريف الحنون المتسامح ، ويتذكر القرويين ، القرويين الطيبى القلوب الذين لا يسخرون بذوى المعاهات ، والذين يرحبون عزيز قوم ذل ! والخطرات النفسية المتتامة صحيحة و « النموذج » مرسوم بوضوح بطريقة المؤلف الحادة العنيفة

وفي « رجل صريخ » و « حياة رجل » نموذجان من لون آخر : الأول نموذج الرجل الضعيف الخائب المنحل . والثانى نموذج الرجل البوهيمى الساخر بكل الأوضاع والأوهام

الطامشان ، ولقد زلأ في فندق واحد على البحر ، في حجرتين متجاورتين ، وحيما جنهما الليل استمرت في بدنه جوعة الغريزة ، ولكنه نام حتى الصباح ليكشف أنها كانت ساهرة رسم النظر الجميل في ضوء القمر ، لتخر صريعة الحى في اليوم التالي وهنا تتوارى جوعة الجسد ، وترتفع النفس البشرية إلى الآفاق الإنسانية ، حتى إذا زالت الوعكة ، وجدا نفسيهما الشاعرتين ، وعاشا للحب والفرح ، عاشا إنسانين قد تلهمهما الغريزة ولكنها تتسامى وتنزأ بالزى الررحى الجميل

المؤلف أعمال أدبية لم أقرأها : الرعيل . ورجل . وفندق الدانوب . فهو إذن ليس مبتدئا - وأنا لا أعرف شخصه ولا ثقافته - و « الذئاب الجائعة » تصلح عملاً أدبياً في منتصف الطريق .. شئ من التحوير في حكاية القصة كالذى تطلبناه في القستين الأوليين رشى ، من البساطة في رسم النماذج الإنسانية والخواطر والمواقف يكمل به الصدق الطبيعى في الحياة وإن نقص به بعض اللذة في التعميد والمفاجأة ؛ فنجد بين يدينا كاتب قصة أو أقصوصة من لون جديد ، ومن طعم جديد

بفيض حين يلتقى بالشاب (حسن) يحضر لزيارة أخيه السبى المريض ويجمع كل أشواق الأنثى الحبيسة ، وكل حنان المرأة الكظيم ، فتتوجه بهما جميعاً لا إلى الشاب - فالخجل الغريزى يمنعهما - ولكن إلى هذا السبى المريض ، شقيق الشاب الحبيب كل خطرة نفسية وكل حركة جسدية - دورها المؤلف تصويراً قوياً صحيحاً وطبيعياً صادقاً . ولكنه آثر في النهاية - إطاعة لشيطان الحرمان ! - أن ترفض المرأة الختام الطبيعى المنتظر ، لأنها أصبحت امرأة عامة ، تقابل هذا وذلك . فهي تشفق على فتاها أن تشقيه بها ، وهو ابن الريف ، وقد شاهدت والده القوى الغيور

على أية حال ليس لنا أن نتحكم في اتجاه المؤلف . ولكن لنا أن نلاحظ ، أن المرأة في هذا كانت مثالية أكثر مما تستطيع طبيعة المرأة ذات الفيض الحبيس المسكنوم فأما (في الفطار) فقد سمح له هذا الشيطان اللعين أن يتخفف قليلاً من (غول الحرمان) وأن يسمح لبطل الأقصوصة وبطلتها أن يرتويا ، وأن يرويا زعة الفن والحياة في نفوسهما لقد التقى بها في الفطار . ولقد تعارفا كما يتعارف الغريبان

لجنة النشر للجامعيين

تقدم

للأستاذ عادل كامل

مليم الأكبر

(القصة التى رفضها المجمع ١٩)

ككتابان في كتاب

١ - مقدمة قصصية طويلة في نقد اللغة العربية والأدب العربى وفنونه ١٣٨ ص

٢ - قصة تصور التيارات الفكرية الحديثة في المجتمع

نطاب من مكتبة مصر ٦٣ شارع النجلاء

الثن ٢٠ قرشا

٢٩٠ صفحة

آن الأوان أن أمسك يا مليم :

وآن الأوان أن نظهر على المسرح : فاني أسمهم يدقون

ولكن قبل أن أتركك تسمى ، يتعين على أن أحبك من نقد من قديح في صورتك ألواناً غريبة . أو يرى في مسالكك أفلا شادة ، فأحدثه بما قال أرسطو في كتاب « الشعر » :

« إن مهمة الفنان ليست التعبير عن الأشياء كما وقعت ، بل التعبير عنها كما يجب أن تكون ، وذلك في حدود المكنة ، ووفقا للنتائج المحتملة أو الضرورية فان ما يعبر الشاعر عن المؤرخ ليس أن أحدهما يكتب شعراً والآخر نثراً ، بل أن أحدهما يروى الواقع ، والآخر يحدث بما كان من الممكن أن يكون . لهذا كان الشعر أداة فلسفية فائقة ، لا يستطيع التاريخ أن يحوى إلى آفاقها »

وأحدثه أيضاً يقول أجاتون :

« من المحتمل - على وجه عام - أن تقع أشياء كثيرة على خلاف المحتمل »

والآن فلنطلق يا مليم إلى حيث تريد لك الأقدار

ولذلك مقررى ..

خاتم مقدمة مليم الأكبر